البوصلة

ياسين طه حافظ

بالرغم من أننا جميعاً كنا نتطلع الى زمن نظيف تُنحّى فيه الدكتاتورية ويقوم نظام مدني يتصف بمزايا الأنظمة المدنية الحديثة فنعيش في هذا البلد كما يعيش الناس في البلدان التي رأيناها او قرأنا عنها...، أقول بالرغم من تطلعنا جميعاً إلى ذلك، لم تكن قناعتنا جميعاً مكتملة بما جاء بعد التغيير. لا لأن امريكا هي التي قادت الفعل وأنجزته، وإن كان هذا سبب رئيس، ولكن أساس عدم القناعة هو هذه التباينات الفكرية والتحضرية بين الكتل والشخصيات التي تولت زمام الأمور أو التي "ورثت" السلطة.

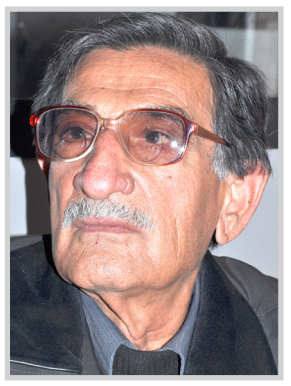

وأنا شخصياً ما اقتنعت يوما ان اختلافات كهذه، يمكن ان تقيم الديمقراطية. ما كنت متشائماً في هذا قدر ما كنت متأملاً. لقد صرنا امام توجهات و "خلفيات" مختلفة، بعضها متناقضة شديدة التناقض. فهي دينية متفاوتة الرؤى، وليبرالية بريئة ومنتفعة واخرى محترفه لعوب، ومناضلة معروف تاريخها وأخرى لا ندري موقعها وهويتها.

وهكذا تجمّع لا يرسّخ ثقة ولا يجعل إنساناً، يظنّ نفسه يفهم ويرى، يقتنع بأن ديمقراطية سليمة وصحيحة سوف تتحقق على أيدي خليط كهذا، حتى إذا توفرت النوايا الوطنية.

أذكر مرة، وأذكّرُ مَنْ استشهد به، إنني كنت في مقهى الشابندر ، بعد تغيير النظام، وجاءني الأستاذ فاضل ثامر و"فاتحني" في مسألة الترشيح ضمن قائمة لاتحاد الأدباء والكتّاب. وافقت في حينه، ولكنني بعد ايام قلت لصديقي "ثامر"، أرجو رفع اسمي! وحينها استغرب: لماذا؟ هذه قائمة تقدمية ...الخ؟ .

كان جوابي: قناعتي بأن الأمور لن تسير كما تتصور وإن إرباكاً واضحاً في الطريق.... الخ.

على اية حال، أتمنى التوفيق لمن واصلوا العمل وتولوا إدارة الاتحاد، لكني تأكدت اليوم أكثر من أي وقت آخر بأنني كنت على صواب وفيما نراه في بلدنا اليوم جواب كاف.

بقيت تلك القناعة تلازمني لما هو أبعد من المنظمات وأكثر خطورة. بل، وأعتذر لكم، ان الحال كشفت لي عن خيبة اكبر وأنا أرى الوزراء، تنوّعَهم واختلاف مستوياتهم السياسية والمهنية. وأرى البرلمان وما فيه من خلطة عارفين "البسطاء" وحكماء وأدعياء ومخلصين تضيع أصواتهم في الضجيج وأرى الدولة وما في مؤسساتها والشارع الذي لا يدري كيف تنتهي الأمور.

مع ذلك كله، فأنا حتى الآن ما توقعت أن يعود الاستغلال والفساد ولا ان تصل الأمور حد ازدواجية المواقف والتضليل وإضمار العداء وتحيين الفرص للانقضاض على خصوم تُغطّى العلاقات معهم بالود وبلافتة العمل الوطني المشترك. كما لم يصل بي سوء الظن حد جهر بعضهم باتهام من يرفع الصوت ضد الخطأ، بل بمعاداته والتشكيك بنواياه.. فقد كان توقعي ان تظل الامور، لفترة اطول، بين الوعد بالديمقراطية والوصول اليها، بين الدعوة لبناء الوطن والتنافس والمراوغات على السلطة، وطبعا دون معاداة حادة وواسعة لقوى الاحتلال، فقد كانت الصفقة بدءاً كذلك أو أن لكل أمرٍ حيناً..

بعد دورة برلمانية ثانية، بعد بدء وزارة ثالثة، ترسخت بعض الكتل وألِفَتْ الحكم وألفت مشاكل الناس، كما ألفت اللجان والارقام.. صار حذري، بعد هذا الرسوخ والاعتياد على الحكم والنفوذ، من ان تظل الأمور كما هي في مستوى الوفاق العام تراوح فيه ولا تتقدم أكثر. وهذه خسارة أولى!

كما صرت على شبه يقين أنّ التفافاً ما وتنصلاً ما ومداراة ما...، قد تنتهي بكشف المضمر وتصبح الخصومة علناً وقد تتحول احتراباً بعد أن كان يغطيها استحياء شفيف. فما نلاحظه اليوم في مجلس النواب يكشف عن كثير من ذلك وان كان ما يزال ضمن الحدود الدنيا من الادب الدبلوماسي.

نعم، قد لا ترفع هذه الكتلة، أو تلك، شعاراً ولكنها رغبة دفينة متوارثة، يمكن ان نتحسس نموها من عبارات في الخطاب ومن إشارة هنا وهناك.

يوماً سمعت مسؤولاً في الدولة يخاطب جمهوراً، فوردت على لسانه عبارة: "تتذكرون في زمن المد الاحمر"... طبعا هذا كلام يشي بنوع الفهم السياسي وتوجهه وان ليس وراءه أي مودة مما يقتضيها العمل الوطني المشترك او الرفقة النضالية فمثلما هي اشارة الى زمن، هي إشارة إلى موقف من وشعور ما يزال مُدّخراً ..

إذن، نحن وبعد سبع سنين كاملة، لم نستطع ان نحدث تغييراً، لا في نظرتنا لموجبات المرحلة ولا في مواقفنا من الفكر المختلف. وما يؤجل الاحتكاك هو فقط انشغالنا بـ"الاجتياز". فلا مفاجأة بعد في أي موقف يلغي التآلف الوطني والاحترام السياسي بين "الشركاء" ساعة يحتدم الخلاف او نرى ما يسوؤنا من هذا الطرف او ذاك.

والأمر الذي حملته "قوات مسلحة" بإخلاء مقر الحزب الشيوعي العراقي ومقر صحيفة "طريق الشعب.." هو من تلك المواقف التي لا مفاجأة فيها، فمهما كانت الإعذار الرسمية ، فان "اللاودّ" أو اللارضا" والموقف القديم والرغبة "المزمنة" بالإزاحة او التغييب، او الاستهانة بالطرف الآخر، من منطق القوة، بعض مما كان "مؤجلاً إلى ان تحين ساعته"... ليس كل الناس صبية لتنطلي عليهم البيانات الرسمية. ربما، كما جاء على لسان بعضهم، كان إجراء متعجلاً أو "متسرّعاً" لكن هذا تماماً هو ما أشرنا إليه في عبارة "الى ان تحين ساعته..." فالساعة لم تحن ولما يهدأ الماء المُزْبدُ بعد لإعلان كل شيء.

وأنا هنا لا أريد أبداً حصر كلامي في قضية إخلاء مقر حزب من الأحزاب الوطنية او مقر كتلة من الكتل. فامور كهذه يمكن ان تظهر لسبب آني وتختفي. لكن الموضوع يصبح في نظرنا أكثر خطراً إذا اتسع. فثمة علائم تشير الى ما كنت اخشى منه وما اشرت له اول الكلام.

أشعر بضرورة الإيضاح أكثر، فأقول: ان هذه التركيبة السياسية المتنافرة التي تسلمت الساحة السياسية في عراق ما بعد الاحتلال، او بعد التغيير، حياءً (والحياء هنا جاء متأخراً..)، لا يمكن لها ان تحقق الديمقراطية، كما هي الديمقراطية في أذهاننا، او كما "نحلم" بها. نعم قد نجتاز بها مرحلة لها مخاطرها ولها مزالقها، ولكن بعض المزالق فيها قد تكون مميتة!

وحتى الديمقراطية، عزيزتنا، ليست هي الموضوع الأخير في كلامي، لكنه الخوف مما قد يتفاقم، مما قد يقع، إذا كشفت كل الأطراف السياسية عن مضمَراتها، عما تغطيه شعارات المرحلة، فتعود الاحترابات الفكرية والمذهبية وبينهما العصابات المنتفعة. وحينها لا نخسر الديمقراطية الناشئة حسب، ولكن سيخسر البلد فرصته في الاستقرار والبناء ونخسر الوحدة الوطنية التي هي أساس كل تقدم.

اسمحوا لي في الأخير ان ابوح بقناعة شخصية أخرى قريبة مما تحدثنا فيه: تلك هي اني احكم على الأحداث السياسية من "بوصلة" اعرف تكوينها. فمثلاً في الحرب العراقية – الإيرانية من موقف هذا الملك او ذلك او من هذا الطرف الإقليمي او ذاك وإذاعاتهما اعرف أين أمريكا منها! كما احكم على حقيقة أي حركة "ثورية" او انقلاب، في أفريقيا، في آسيا وشرقها الأوسط، في أمريكا اللاتينية ...، من موقفها من اليسار. فان كانت ضد اليسار، عرفت اتجاهها الحقيقي وانه تحرّك أو انقلاب مشبوب، وليس وطنياً صافياً. لا مجال لأي شك عندي في هذا : سادتي: هذه البوصلة أبداً لا تخطئ!

مراجعات

هدية حسين في (حبيبي كوديا).. تجربة سردية جديدة

باسم عبد الحميد حمودي

المجموعة القصصية الجديدة للروائية هدية حسين (حبيبي كوديا) حملت ملامح التجربة الغنية التي منحتها المنافي للكاتبة التي لم تنفصل يوما عن تاريخها ا لإبداعي المثقل بالتجارب

في قصة(أرجوحة الوجوه)لون من حياة مضت ولكنها تستعاد بكل تفاصيلها وذكرياتها حيث القطارات الصاعدة والنازلة وقصف الطائرات والموات والتوق لذكرى اناس غادروا او ابتعدوا حيث تشحب الصورة ويبتعد الحدث.

في قصة (رجل يبكي نفسه)نجد ذاك التنويع الذي انسل ضمن أحداث (أرجوحة الوجوه) عن امرأة غادرت رجلا (ربما غادرها ؟!) وسط مجموعة البؤر الدرامية ؛ حيث نجد الرجل الذي غادرته زوجته بسبب الحرمان منتقلة الى البصرة مع رجل التقاها في المحطة .

كان هو في السبعين وقد خسر الكثير يقف أمام قبرها باكياً شريط حياته معها وهو يشعر بخيبته معها ويبكي عند قبرها، فيما كان المشهد الأخير من(أرجوحة الوجوه) يقدم امرأة تفك أغلال ذكرياتها وهي تحوم حول ذكرى رجل أضاعها وضاع .

في (حبيبي كوديا) يسقط السبّاح (جودة) الذي أسمته الراوية باسم البطل السومري كوديا ، يسقط غريقاً في الهور الذي عاد إليه بعد ان أصبح سباحاً دولياً.

مشكلة جودة الأساسية انه كان لا يعيش أبعاد عصره وتطوره إذ (كان يفخر أنه من تلك السلالة التي اخترعت أول حرف للبشرية واول قانون واول مدرسة ... الخ) وهو يلقي محاضرته على من أحبته بقلب جامد وعقل مشدود إلى ماض غادرته الدنيا

كان جودة قد دخل أضواء بغداد منسحباً من الهور بتأثير من اكتشف موهبته ، وما أن فاز بمسابقات محلية ودولية حتى ترك كل مجده عائدا الى الهور الذي رحل منه ليغرق فيه بطريقة لا تتناسب مع بطل .

أخذ موت جودة ثلاثة مسارات أولها سخط مدربه عليه وثانيها حزن من أحبته التي أخذت تقلب بطون التاريخ لتعرف شيئا عن الملك كوديا (لعله يدلني على حبيبي الذي أخذته أرواح الأسلاف) وهو المسار الفكري الثالث الذي نجم عن مخيلة أهل الهور الذين آمنوا أن أرواح الأسلاف هي التي اجتذبت جودة إلى قاع ارض الهور بعد أن تأكدت من أخلاصه لميراثها

والذي أجده ان هذه التجربة تعبر عن ذروة فكرية ترفض السائد ولكنها لا تنتمي الى ماض لا يعود ،إن نموذج (جودة) موجود على الأرض لكنه يحمل جينات خلل ما ضرب دماغه وفؤاده ، والمشكلة الأساسية في من يتوق الى هذيانه أو يؤمن به وقد نجحت القاصة في تفجير هذه الأسئلة

في (رصاصة واحدة لا غير) يتبدى جزء أساسي من تجربة إنسانية تعكس في غلافها الخارجي صورا للصراع المفترض بين القاصة وشخوصها ومسارح حيواتهم ويصوّر الجزء الداخلي تلك العلاقة بين بطلة ذات تاريخ مدمى والقاصة حيث تستمر معاناة البطلة طوال عقود من الألم بدأت منذ الحروب الأولى تبكي خلالها البطلة إخوتها والأبناء لتنتهي برصاصة من جندي أجنبي دخلت رأسها ،حيث كانت هذه الرصاصة سبباً في إنهاء سمفونية أحزان ظلت متوقدة لسنوات .

في قصة (ذاكرة تتجول في شارع الرشيد) التي كتبتها القاصة عام ٢٠٠٨ نجد إحالات القاصة إلى أماكن ومناطق آلت إلى الانزواء مثل الأسواق المركزية وسينما ركس وروكسي و (جقماقجي) وسواها فيما ظلت بعض الشواخص حية تنبض بالحياة ، فالكاتبة تعيش ذكرياتها عن شارع يحتضر وهي تصور أزمة قاصّة تحاور والدتها عن شارع يعيش أزمته .

تعيش بقية القصص أزمات وخيبات متعددة وسط عوالم من الحسرة والحب الدائم للحياة والاعتراض على سوء مسيرها والتوق الى حياة أفضل لم تتحقق معالمه بعد.

(حبيبي كوديا) مجموعة قصص جديرة بالانتباه إذ أنها تنطوي على تجربة إنسانية كثيرة التفاصيل تحاول استنهاض ما تبقى من أحلام (صدا) حيث تخون الطرق المسار أحياناً لكن(ليل بارد) يدخل مساحة السرد ليحقق استمرار نجاح متصل حققته الكاتبة عبر تجربتها الإبداعية.

تلويحة المدى

ندوات الاستعراض الثقافي

شاكر لعيبي

الانتصابات الاستعراضية تحكم جزءاً كبيراً من الندوات والمحاضرات الثقافية. ففي العالم العربي لا يمكن للندوات والمحاضرات العامة، إلا بصعوبة، أن تصنع ذائقة عامة، ذلك أنها في الغالب، محكومة باشتراطات غير ثقافية، كأن تكون مسيَّسة، أو ذات أفق محدد سلفاً، أو لا تقرب من المحرّم والمسكوت عنه، الجوهريّ. وأحياناً محكومة بعلائق عامة من طبيعة لا أدبية. الأهم من ذلك كله أن العلاقة بين المحاضر والمتلقي تشكو برودة دم وعدم اطمئنان، وكلها قادمة من مفارقة عدم الثقة بمثقف مزدوج الخطاب ومثقف آخر خائض بالعمومي المطلق.

عدم الاطمئنان للكلام، للكتابة، للمكتوب، والخطابي المنطوق. هي لا-ثقة خفية لكن فاعلة يقع مصدرها في فعل الناطقين الحقيقي، وحصيلة خطابهم التاريخية الطويلة التي خيبت الآمال.

مما لا يغيب على أحد، إلا بثمن تلفيق بيّن، أن التفاعل الاجتماعي ضعيف في الندوات الثقافية العربية. نحن نعرف أن هناك قلة يائسة تحضر ندوات الشعر مثلاً. وهو أمر يدل على أن الجمهور لم يعد يثق كثيراً «بالكلام» الجميل الذي باسمه انتهَت أنبل قضاياه. لنلاحظ كذلك أننا لا نجد ندوات يقرأ فيها القصّاصون قصصهم. المُملّ هو ما يحكم هذا التفاعل الضعيف. نُشرت مرة صورة لرئيس بيت الشعر التونسي وهو يغط بنوم عميق في إحدى ندوات بيته. تلك الصورة هي استعارة بليغة للتفاعل المرجوّ، المفقود. ثمة ملل موصول اليوم بأدوات الاتصال الجديدة، كالانترنيت، التي تساهم في تصعيد العذاب الفردي في الوقت الذي تسعى فيه أن تتملص منه. لا كائن في العالم الحديث بقادر على تصديق أن الميديا الراهنة قد أزالت العزلة إذا لم تكن قد صعّدت وحدةً صافية وجودية لا سابق لأحد بها، وهو يظن أنه على اتصال فذّ، افتراضي مع العالم كله. ياللمفارقة.

إن "حق المؤلف" شيء لا يُعترف به صُراحاً حتى الآن في ثقافتنا. فالمواضيع الأصلية، الأصلية لها، كما نعلم، من يطلقها ويفكّر بها قبل غيره، وهو أمر مضروب عرض الحائط كثيراً وقليلاً. سرقة المواضيع "المتميزة" هي القاعدة. أما المشاركون فهم ذاتهم على الدوام في مهرجان جرش سابقاً ولوديف واللاذقية وبيروت الحاليات، وجل معارض الكتاب السنوية في العالم العربي، وغير ذلك. هناك قائمة ثابتة من المدعوين حفظناها جميعاً. جلّهم من المحررين الثقافيين القدامى و رجالات الصحافة اللامعين وذوي العلائق الاجتما-ثقافية وأبناء المؤسسات العريقة القائمة على أسس قامت "الثورات" الحالية ضدها. إنهم جزء من البُنى المنهارة.

لا أحد تقريباً يعترف بأن للصورة الفوتوغرافية المعروضة والمطبوعة مؤلف مخصوص. لا يُعترف أيضاً بالجماليات الفريدة لبعضها، الخارجة من حس فرداني لا تشك به. لا يضع البعض اسم المصور الفوتغرافي لهذا السبب جوار إبداعه في الصحافة المحلية العربية. كيف يمكن بعد هذا كله توقع طبيعة الندوات الثقافية؟ ثمة في الحقيقة العائلة المحوَّرة بدهاء بدلاً عن الثقافة، الفساد المتلبس بلبوس المعرفة بدلاً عن المعرفة ذاتها، التصالح البسيط بدلاً عن نبل السجال المعقّد، النتائج المتشابهة بدلاً عن الخلاصات الذكية. في هذا السياق لا نجد إلا قلة من الندوات اللافتة في مشرق العالم العربي، وليس في مغربه، حيث تقاليد الندوة الثقافية وأسلوب السجال والتوثيق قائمة ومتواصلة.

قصائد

يار جعفر

مدن

خلف الابواب
عجائز نخل
وسحابات ضيقة
وخرائب
خلف الابواب
النهر الصدئ
الجص الرطب
الحشرات معلقة بخيوط
عناكب
خلف الابواب
الرمق ..الطلق..الطفل
حبال غسيل بمشاجب
الابواب
اللحظة بين الفكرة والتطبيق
الممكن
لكنّ الابواب مغلّقة
لاتنفذ منها ريح
او حتى ضوء شاحب

حكاية

قبل بلوغ الارض مجرتها
كانت حواء
من لاشيء تقوم سماء بيضاء
آدم في ضوضاء حضارته يأتي
ليعرف عن متعته،
وأساطير فحولته
(آدم علمها أشياء
اسماء للاشياء
واستثنى المستعصي منها)
حواء تُغيّب في العصف
تجزع عند سقوط الناقوس
على رأس حضارته ،
تبكي
ينكسر الماء وتبدأ دورتها
الاشياء

الخالة تولا

زينة الربيعي

خيرترورديس او تولا ،المراة ذات العينين الحداديتين ،صاحبة كنز عذوبة ورقة سرية وعي في العشرين من عمرها ،ان تجعل من حياتها مهمة محددة :-استسلام كاسح تضحي فيه بنفسها.

رواية (الخالة تولا) للكاتب ميغيل دي اونامونو رواية ذات طابع خاص فريد من نوعه ذات سرد واقعي لحد المرارة،قام بترجمتها للعربية صالح علماني وطبعت بدار المدى للثقافة والنشر في دمشق عام ٢٠٠٩.

تتحول بطلة الرواية تولا الى (ثيلستينا) مبكرة لغراميات اختها روسا مع الشاب راميرو،تعمل على تزويجهما بماهو اقرب الى الاكراه ،وتختار بتصميم حاسم لارجعة فيه ان تكرس نفسها جسدا ورحا لرعاية ابناء اختها ،وهم ثلاثة وتفعل ذلك في بداية الامر كخالة كلية القدرة ،بطريقة أقرب الى التعسف في حلولهامحل أم الصغار الحقيقية وما أن تموت الام حتى تصير الخالة تولا أما معلنة، مع الحفاظ طوال الوقت على عزوبيتهاوتظل حتى أخر ايامهاامامعلنة ــوليست زوجة اب بأي حالــ للصغار الثلاثة ومن سيأتون من الاغواء المشين لخادمة.

معنى صارم للواجب يستند الى تدين متزمت موروث عن الاسرة يجعل من تولا عذراء أما او اما عذراء تدافع بالبسالة نفسها عن حدي هذا التناقض بالغ الوضوح .

من هذا الدفاع المتصلب والقاسي المتزامن في حدين متعارضين تنشأ مأساتها ،نسخة مفخمة للنزاع الداخلي المعهود،لصراع شخصيات اونامونو التقليدية الاحتضارية التي لاتجد لحظة سلام واحدة ،ولايوفرها الكاتب لنا نحن قراء قصصه.

غير ان مأساة تولا لاتستند الى اهتزاز الجسر الواصل بين الضفتين-الامومة والعذرية-في سياق الحياة الفيضائي المندفع. انها تستند الى الرغبة الجنسية .ومن دون مسكنات بل بأسراف متعدد الوجوه يصف اونامينو تولا كانها بركان على وشك الانفجار طنجرة ضغط جنسي غير مشبع ومتلهف ،يهدأ بدفقات بخار روخانية مؤكدة،أجل ولكن بتحويل مفاجئ ومتسام للرغبات الجسدية المشتهاة.

وتبدأتسلسل الرواية بتقديم كافي ووافي عن مجمل الرواية وشرح للحالة الانفرداية التي تمر بها بطلة الرواية وشرح كذلك صفات كتابية عديدة للكاتب أونامونو وتليها مقدمة نعتت في الكتاب انها غير ضرورية ولكنه بزهوه المعتاد يضع الخالة تولا في هذه المقدمة في مدار تيريسية وكيخوتية وفي مدار مأساة انتيجون الكلاسيكية .لا يمكن الاعتراض على اي شيء ويمكن مجاراة المؤلف ،وخاصة من منطلقات اكاديمية وتعليمية .اما بعيدا عن هذه المنطلقات فان ما سيراه قارئ اليوم في قراءته السريعة لهذه القصة هو انها ميلودراما كآبة وعدم أحتشام ،ربما اشبه بنسخة مختصرة لواحدة من الرويات المطولة التي شاعت في القرن التاسع عشر .

وتلي هذه المقدمة الرواية كاملة من بداية شرح لحياة الفتاتين تولا وروسا وحياتهم مع خالهم القس النبيل ومرورا بطريقة تعرف روسا الى حبيبها وزوجها فيما بعد ،وتتخلها لقطات درامية في وصف مسهب عن طبيعة الخالة تولا وتسلطها المفرط باختها ،وتيتمهم المبكر المصحوب بأحتشام وتربية محافظة جدا.

وبعد زواج روسا وتكوين عائلتها بدات التحكمات الواضحة جدا للاخت تولا وخصوصا بعد انجاب الاخت لاولادها حيث تتضح صورة الخالة على انها الام المستترة بستار الخالة ..وبعدها تستمر الاحداث بعد وفاة اخت روسا والخال النبيل وانتقال تولا للعيش مع الزوج وابنائه كأم معلنة وليست كزوجة أب والى باقي سرد الرواية ..

ان تفحص المغالاة الاونامونية في ميدان الدين والفلسفة،وأقحامها بخطورة دون شك –مسألة "الاختية" في المقدمة وال"التنحيل"في المتن ــ في سياق الحبكة الروائية ،لايمكن له ان يغمض عيوننا عما هو جلي اننا حيال قصة ايروتيكية مكشوفة ،وربما من أشدها دويا وتوترا وارهاقا ومرضية في الأدب المكتوب بالقشتالية في القرن العشرين .

منذ البدء يعرف ان تولا تشعر بميل نحو راميرو،زوج اختها، ولكنها تصر حتى وهي تحت سقف البيت نفسه ،على أبعاد تلك الكأس وتغيطتها بالاسمنت ((انه ابن اخر لي)) ،تقول عن راميرو،مخادعة نفسها ربما وربما انطلاقا من قناعاتها الدينية الحاسمة،يبرز عند تولا –بسبب تحفظ اخلاقي حيال الجنس ومايتبعه من خطيئة الجسد –كره عميق للنساء وخوف من الرجال .نفور جسدي من الرجال "هذا الكائن الفظ" على حد قولها ، المرتبط فقط ولايمكن ان يكون غير ذلك بتنامي حدة رغبته كرجل، رغبة راميرو. تتحصن تولا في واجباتها الامومية تتمون بوحدة حميمية وروتين ممل ،تدفع اشرعتها بالريح السخية لحماسة قداسة مضمرة ،تخدر غريزتها بلهفة عظيمة للطهارة والنقاء،ولكنها في ذلك كله لاتتوصل الا الى ان تفرخ من الرغبة الجنسية برعما يلامس كيلا نقول يعانق، السادية المازوشتية.

تنتصب فوق تسلطية متشددة –"كفى"– تقول الخالة تريدها طيبة النوايا بينما هي متداخلة مع مفهوم للواجب متطلب ومتضخم، تعاني تولا وتجعل كل من حولها يعانون،تدفع نفسها وتدفعهم الى قدر مؤلم وتعيس ،متحكمة بحياة الجميع وحياتها من برج حراسة النرجسية ،حب الذات والعجرفة ،امر تتعرف اليه هي نفسها عندما يتحول بناؤها الحديدي الصارم الى انقاض وتجري الحساب مع شبح الفشل .

المعركة بين ملاك الروح وشيطان الجسد بين يدي اونامونو المعرض للمحن والشدائد تترجم الى جو مشحون بحسية تزداد بريقا كلما انكرت نفسها او تقنعت بتعبير حذر، فتنفجر وتتمزق بعنف وميض جنسي دفين.

النص المترع بفيض كلمات غير مألوفة ،ولابد من تكرار ذلك ينقاد لمزاج مرضي حين ينسب لتولا افعالا وافكارا ومشاعر تشير الى حالة مرضية حادة ومقلقة .فتولا التي تمقت القذارة –الطين-الروث –ولديها نفور من الدم – ولن نتحدث عن الدم المتخثر ،يحدد اونامونو ،تفتح الشرفة بين قئ الطفل بين ذراعيها ولطخات منئ ،وترى ان جلوسها على الارض فوق العشب في الريف اما صهرها الارمل وابناء اختها –ابناؤها، ربما يكون علامة استهتار وقح ،وتشعر بنسيم البحر كانه شوكة في لحمها وتعاني عندما ترى الاطفال يراقبون العاب "جماع" طيور الحظيرة ، وهناك الكثير من الاشياء نفسها ،وشديدة الانحراف والشذوذ.

الصدور ،الاحشاء،البطن،العظام،كل مايشكله الجسدية الفيسيولوجية يبدو في نظر اونامونو وتولا على علاقة مشوشة بعالم الورحانية "مغناطيس جسدك الممتلئ روحا" كما لوانهما يجدان فيه –اكثر من اندماج متناسق –اعتذارا وتبرئة لطبيعتهما المحكومة بالتحول الى رفات تكبح بصورة غير مفهومة نبض الحياة وتشنج الغربة لسوء الحظ.

وهكذا مثل إيما بوفاري التي تسعى بأستهتار يمكن تفهمه لتحقيق حريتها ،فتحطم حياتها وحياة المحيطين بها نجد ان تولا على افتراض انها النموذج المعاكس تخضع رغبتها لنير الواجب وتتوصل الى النتيجة نفسها.

هل قال اونامونو يوما ،محاكيا فلوبير "الخالة تولا هي أنا ؟" لاندري ان قال ذلك ام لا ولكننا نرى انه ربما يكون قد قاله ولو على سبيل المزاح.